التفاؤل والتشاؤم

وهل لهما أسباب تاريخية

بعض غرائب الخرافات عند الغربيين والشرقيين

على الرغم من انتشار الحضارة فى مدن الغرب والشرق وتأصل المدنية والمعرفة فيهما منذ عشرات السنين فلا يزال الكثيرون فى بعض مناحى تفكيرهم واعتقاداتهم مقيدين باغلال خرافية يؤمنون بالتفاؤل والتشاؤم على نفس النمط الذى كان يعتقد به من عاشوا فى عصور ما قبل التاريخ وبعده .

ما أعجب هذا الانسان . . ! خضعت له عناصر الطبيعة وطأطأت من كبريائها امام جبروته ، ودفع بسفينته الى المحيطات الثائرة تشق عبابها آمنة لا تهاب غدرها ، وبعقله الجبار دانت له العلوم وتفتحت الاسرار ، ومع ذلك ما زال هذا الانسان على ما بلغ من سيادة ومدنية وحضارة وثقافة يتمسك ببعض الاوهام الخرافية التى استمسك بها اسلافه وقد كانوا اقل منه حضارة وتعلما واستنارة ، وسيظل عبداً لها مهما قرأ وتثقف .

إن الحضارة لن تقضى على الخرافات مطلقا ، وكل ما هنالك ان الناس يستبدلون خرافة بخرافة تحت ضغط المدنية ، ولكن الاساس واحد والاصل لا يتغير .

من العجب ان الغربيين يعتقدون ان الشرق « مهد الخرافة » ، وان اهله هم اكثر الشعوب تعلقا بالخرافات وايمانا بها ، ويعزون هذا التعلق وذاك الايمان الى ان هؤلاء لا يزالون فى ضلالات الجهل ومعنى ذلك ان الغرب بما وصل اليه من الحضارة ورقى العلم والادب قد تجرد عن مثل هذه الاوهام . ولكن الواقع غير ذلك فمازال قوم منهم من ارقى الطبقات يعتقدون احط الخرافات التى لا تقوم على أساس علمى .

ولئن صدق هؤلاء المتقولون وانتحلوا للشرقيين عذرا من الجهل فماذا يقولون عن انفسهم وهم الذين يدعون سيادة الشرق استنارة وحضارة . . . ؟!

قد سألت ادارة احدى كليات المعلمين لمقاطعة « ونكونسن » الامريكية ٤٨٨ طالبا ان يذكروا الخرافات التى يعرفونها والتى سمعوا بها ، فاجمعت ردود الطلبة على خرافات بلغت زهاء ١٢٢٥ خرافة

وهناك فى الغرب طائفة من الكتب بمختلف اللغات مقصورة على البحث فى الخرافات والمعتقدات المختلفة .

يقول الدكتور كلارك ويسلر وهو من العلماء العاملين فى متحف التاريخ الطبيعى فى نيويورك : « يظهر أن المدنية وقد درجت وتطورت من مهد الجهالة لا زالت ذات صلة بطريقة التفكير التى تسيطر على العقول البدوية فى الجاهلية الأولى . فالسحر والخرافات يلعبان الى الآن دورا كبيرا فى الحياة العصرية » .

ويقول أحد علماء النفس من الفرنسيين : « ان الخرافات لم تنج منها أمة فى الزمن الغابر ولا فى العصر الحاضر ، وإن تأصل عادة التفاؤل والتشاؤم أو قلة ظهورها لا علاقة لها بحالة الشعوب ومبلغ رقيها وتقدمها فى الحضارة . »

ووجه الدكتور ا . باودن مدير كلية المعلمين بولاية « مكسيكو » الجديدة بالولايات المتحدة وأحد كبار علماء النفس الامريكيين سؤالا الى جمهرة من الناس ولفيف من المعلمين هذا نصه :

أ إذا كنت ذا تعلم جيد وصحة طيبة تشتغل بجد وضمير ك مرتاح ؟ . . أتظن أن هناك قوة تحيد بك عن سوى الصراط وتميل بك قسرا الى تغيير سبيلك المرسوم ؟ . »

فكانت اجابة ٦٦ فى المائة من تلك الجهرة من الناس « نعم » و ٦٢ فى المائة من المعلمين .

فزهاء ثلثى الامريكيين تقريبا من المعلمين يؤمنون بالتفاؤل والتشاؤم .

ان للبيئة والاقليم والدين شيئا من التأثير فى الطباع وفى الاجسام ، ولكن التأثير الاعظم للوراثة .

للخرافات الشائعة اصول تتفق وعقلية الانسان الاول ، وسبيلنا الى فهمها ان نعرف احوال المتوحشين الآن وعقائدهم وكيفية تعليلهم للأشياء والحوادث ، لان المشابهة تكاد تكون تامة بين المتوحش الذى يعيش الآن فى اواسط افريقيا واستراليا ، وبين الانسان الاول ، بل يمكننا ان نقول ان المتوحشين هم اسلافنا المعاصرون الآن .

ان معظم الخرافات التى يرجع الى التفاؤل والتشاؤم ليست كلها ناشئة عن اسباب تاريخية وحوادث وقعت فى الازمنة الماضية ، فكم من خرافات عاشت دهورا بلا سبب ، ويرجع هذا الى ماجبل عليه الانسان من سرعة تصديقه كل مايسمعه .

لا تجد أمة تخلو من اعتقادات خرافية راسخة فى عقول اهلها ولكن بعض الخرافات تكاد تكون شائعة بين معظم الشعوب ،

وقد جمعنا فى هذا المقال من اوثق المصادر طائفة من الخرافات الكثيرة الشيوع مع تعليل اصلها وفقا لآراء الباحثين .

البوم

اول مايلفت النظر من الخرافات هو البوم ، فعظم الناس يتشاءمون منه ، ويقولون ان رؤيته تجلب المصائب وتجر النوائب ، فهو طائر الشؤم وناعى الخراب ، وارالاوربيين يتشاءمون من صوت البوم ويتطيرون منه ايضا . فالمشهور عنه انه يتخذ الاماكن الخربة المهجورة والمحال المظلمة مأوى له ، ولذلك قرنت فى ذهن الانسان صورة الخراب مع البوم ، ومن هنا نشأ التشاؤم ، وهو يقيم فى الاماكن الخربة ليأكل ما يجده من الفيران والجرذان والحشرات والبعوض وغيرها .

ان البوم غالبها يعشش فى أجواف الاشجار ، ولكن بعضها يعشش بين الصخور وعلى الرمال وفى البيوت الخربة ومن ذلك قول بعضهم :

ياقصر جمع فيك الشؤم واللوم متى يعشش فى اركانك البوم

ومن انواع البوم الهامة Barn or white owl وهى مشهورة فى قصص العرب ؛ والصدى Little owl وهو الوارد فى قول توبة :

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا اليها صدى من جانب القبر صائح

وقد جاء فى كتاب سراج الملوك ان عبد الملك بن مروان ارق ليلة فاستدعى سميرا له يحدثه ، فكان فيما حدثه به ان قال يا امير المؤمنين « كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة ، فخطبت بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها ، فقالت بومة البصرة : لا افعل حتى تجعل لى صداقها مائة ضيعة خراب ، فقالت بومة الموصل : لا اقدر على ذلك الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك . »

الغراب

ومن الخرافات الشائعة التشاؤم من الغراب ، ويعرف فى الشام بالزاغ والقاق ، وفى العراق بالزاغ والغراب .

وكان الرومانيون يقولون : اذا طار الغراب عن يسار انسان انبأ بالشر وجلبه عليه . وانه يسبق المقاتلين الى ساحة الوغى ينتظر وقوع القتلى . واذا طار فوق بيت فلا بد من ان يموت واحد فيه . واذا وقع به اذى انتقم ممن آذاه ولو بعد موته . وكثيرون من الانجليز يعتقدون ان نجاحهم فى الدنيا نتج عن حمايتهم لغراب عشش فى بستانهم ، وانه اذا قتل قصدا فلابد من ان يموت واحد من الاسرة على أثر ذلك . ويقول اهالى اسوج ان الغربان التى تنعق فى المستنقعات ليلا هى ارواح القتلى الذين قتلوا غيلة ، ولذلك حمى الغراب من الاذى فى كثير من البلدان الشمالية .

وكان العرب يتشاءمون من الغراب ، قال ابو الفرج المعافى ابن زكريا فى كتاب الجليس والانيس : « كنا نجلس فى حضرة القاضى ابى الحسن فجئنا على العادة فجلسنا عند بابه واذا اعرابى جالس كانت له حاجة فوقع غراب على نخلة فى الدار فنعب ثم طار ، فقال الاعرابى : ان هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة ايام ، قال فزجرناه فقام وانصرف ثم خرج الاذن من القاضى الينا ، فدخلنا فوجدناه متغير اللون مغتما ، فقلنا له ما الخبر ؟ قال رأيت البارحة فى النوم شخصا يقول

منازل آل عباد بن زيد على اهليك والنعم السلام

وقد ضاق صدرى لذلك . فدعونا له وانصرفنا ، فلما كان فى اليوم السابع من ذلك اليوم دفن »

قال القاضى ابو الطيب الطبرى : سمعت هذه الحكاية من لفظ شيخنا ابى الفرج المذكور .

وقال يعقوب بن السكيت : « كان أمية بن ابى الصلت وهو شاعر مسيحى مشهور من فحول شعراء الجاهلية ، فى بعض الايام يشرب ، فجاء غراب فنعب نعبة ، فقال له أمية : بفيك التراب ! ثم نعب أخرى فقال له أمية : بفيك التراب ! ثم أقبل على أصحابه وقال : اتدرون مايقول هذا الغراب ؟ زعم انى اشرب هذه الكأس فأموت ، وأمارة ذلك انه يذهب الى هذا الكوم فيبتلع عظما فيموت . قال فذهب الغراب الى الكوم فابتلع عظما فمات ، ثم شرب أمية الكأس فمات من حينه » ، وهذه الحكاية من اقاصيص العرب .

والتشاؤم من الغراب ربما يرجع الى سواده ، والسواد رمز للحزن حتى ان العرب يسمون السود منهم « أغربة العرب » مثل عنترة وغيره ، ويقول محيط المحيط : « ان الحاتم أى الغراب الاسود سمى كذلك لانه يحتم بالفراق فى اعتقاد العيافة ، وزاد على ذلك قوله : ان الغراب سمى غراب البين « لانه اذا بان أهل الدار للنجعة وقع فى موضع بيوتهم فتشاءموا به وتطيروا منه ، فقالوا فى المثل اشأم من الغراب اذ كان لا ينزل منازلهم الا اذا بانوا (أى بعدوا) عنها . « وربما يرجع ايضا الى علاقة لفظية بين اسمه وبين

الغربة والاغتراب اى النزوح عن الوطن والأهل والأحباب .

وعلل الجاحظ تطير العرب من الغراب فى كتاب الحيوان بقوله : « وأصل التطير انما كان من الطير اذا مر بارحا أو سانحا ، اى عن اليمين او عن اليسار ، ورآه المتطير يتفلى او ينتف ثم صاروا اذا عايبوا الأعور من الناس او البهائم او الأعضب او الأبتر زجروا عند ذلك وتطيروا كما تطيروا من الطير ، فكان زجر الطير هو الاصل اشتقوا منه التطير ، ثم استعملوا ذلك فى كل شىء . والغراب لسواده ان كان اسود ، ولاختلاف لونه ان كان ابقع ، ولأنه غريب يقطع اليهم ، ولأنه لا يوجد فى موضع خيامهم يتقمم الا عند مباينتهم لمساكنهم ومزايلتهم لدورهم ، ولأنه ليس من شىء من الطير اشد على ذوات الدبر من ابلهم من الغربان ، ولانه حديد البصر قالوا عند خوفهم من عينه الاعور ، كما قالوا غراب لأغترابه وغراب ابى لأنه عند بيوتهم يوجد فى دورهم .

وقال ولايمان العرب بباب الطيرة عقدوا الرتائم وعشروا (أى نهقوا عشر مرات) اذا دخلوا القرى تعشير الحمار . والغراب اكثر من جميع ما يطير به فى باب الشؤم . لكنهم لم يكونوا فى ذلك سواء ، بل نفى بعضهم التطير قال سلامة بن جندل :

ومن تعرض للغربان يزجرها ... على سلامته لا بد مشؤوم

وقال غيره :

يا أيها المزمع ثم انثنى ... لا يثنك الحادى ولا الشاحج

بينا الفتى يسعى ويسعى له ... تاح له من أمره ذائج

(يتبع) ابراهيم تادرس بشاى

المجلة الجديدة

يصدرها ويحررها سلامة موسى

تصدر فى اول كل شهر فى ١٢٨ أو ١٤٤ صفحة كبيرة حاوية لآراء المجددين فى العالم المتمدن فى الاجتماع والادب والعلم .

قيمة اشتراكها فى مصر والسودان ٤٠ قرشا فى العام وفى الخارج ١٢ شلنا . وهى تهدى الى مشتركيها ثلاثة كتب . وقد صدر منها عددا نوفمبر وديسمبر

١٢ شارع نوبار . مصر

فلسفة ديكارت

للاستاذ زكى نجيب محمود

تمهيد

وثبت الفلسفة فى عهد الاغريق وثبة جريئة ، كانت من غير شك شذوذا نابيا لا يستقيم مع طفولة العقل عندئذ ، ولا يتفق مع سير الانسانية الوئيد المتثاقل . وما ظنك بثلاثة من قادة الفكر وافذاذهم البارزين ، الذين لا تزال فلسفتهم الى هذا اليوم موضوعا للبحث والدرس ، وأغلب الظن أنها ستظل موضوعا للبحث والدرس الى غد وبعد غد ! ماظنك بهؤلاء الجبابرة ينشرون تلك الفلسفة العالية وذلك الفكر الرفيع فى أوساط من الناس يستحيل على عقولهم الفجة الساذجة أن تتسع لأشباهها ، أو قل لاتدنو من عشر معشارها ! ماظنك بسقراط وأفلاطون وأرسطو ، أولئك العباقرة الفحول ينتجون هذه الفلسفة فى القرن الخامس قبل ميلاد المسيح ؛ أى منذ خمسة وعشرين قرنا !

لم تسغها العقول وقتئذ ، اذ لم تقو على هضمها وتمثيلها ، فكان طبيعيا أن يكون نصيبها الطى والاهمال ، حيث استقرت فى بطون أسفارها قرونا وقرونا ؛ تنتظر العقل الناضج الرشيد ، تنتظر هذه الانسانية المتلكئة فى سيرها حتى تسمو وترتفع الى حيث هى ؛ وعندئذ تستطيع أن تنشر صفحاتها المطوية وتخرج الى شمس كنزها الدفين

ولكنها وقفت تنتظر حينا طويلا من الدهر حتى سئمت الانتظار ! وحق لها أن تمل وتسأم ، فقد أقبل الناس على عصر بل عصور ، اصطلح المؤرخون على أن يطلقوا عليها اسم العصور الوسطى كانت مظلمة شديدة الظلام ، تتخبط فى دجور من الجهل ، لا يكاد ينفذ فيه قبس واحد من نور ، كأنما أصاب الدهر سنة من النوم أو اغفاءة من السهو ، فبدل فى مواضع الازمان ، حيث قدم ما كان يجب أن يؤخر ، وأخر مايجب أن يقدم !! فى تلك العصور سيطرت الكنيسة على العقول الى أقصى حدود السيطرة ، وحرمت على الناس كل ضرب من ضروب التفكير الحر الطليق ، كما حظرت عليهم كل دراسة لاتمت الى الدين بسبب وثيق . اسمع الى البابا غريغورى الأكبر ، رئيس الكنيسة الأعلى ، كيف ينحو باللائمة المرة ، والتقريع اللاذع ، على رجل من رجال الدين ، وشى به اليه انه يصرف شطرا من زمنه فى قراءة الآداب القديمة فيقول :